مصير بوش بعد العراق:

انتخابات نصفية خاسرة وعملية سياسية فاشلة

حمدان حمدان*

■ هذا هو عنوان المرحلة المقبلة التي تؤسس لمصير الرئيس بوش، فهو لن يخسر مغامرته في افغانستان والعراق فحسب، بل سيخسر نفسه مع ربابنة سفينته المتوجهة الى العراق حيث يصبح من المتوجب استدعاء وحي سماوي آخر عله ينقذه من مصير مفجع.

قد نتهم نحن الشرقيين باستنساب نبوءات رومانسية تعكس ما نتمناه لرئيس عدواني، قضى معظم رئاسته في التفنن بصناعة الكذب، لكن ما نتمناه هنا، حاصل في وقائع لا تنتسب لتصورات خيالية او طوباوية شرقية، بل هي تقدم لاستنتاجنا من حيث باتت واقعا ناجزا مقروءا بزاوية نظر هي الاقرب للقراءة العلمية مع التوثيق.

فحزب بوش سيعاني السقوط في الانتخابات النصفية خلال شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 2006 حيث سيتم انتخاب جميع اعضاء مجلس النواب، كذلك انتخاب نصف اعضاء مجلس الشيوخ، واليكم الدواعي لنبوءة السقوط. فالانتخابات النصفية تجري في مناخ فشل ذريع لمغامرة الحرب الدموية في العراق (وافغانستان) اذ لا يعرف ثلاثمئة مليون امريكي، شيئا عن الحكمة لغزو هذين البلدين، وبالنسبة للشعب الامريكي فان المهم ليس الحكمة، بل المنافع، فما الذي انتفعت منه امريكا، وهي تشن حربا بلغت كلفتها البشرية المعترف بها، زهاء ثلاثة آلاف قتيل وعشرين الف مصاب، وهذا غير الكلفة البشرية لمجاميع قتالية امريكية لا حق لهم بالاعلان عن موتهم، لا في العراق ولا في افغانستان، ثم، ما الذي انتفع منه الشعب الامريكي وهو ينفق من اموال دافعي الضرائب ما وصل حتى الآن، قرابة 350 مليار دولار، اي ما لا يكفي نفط العراق لسداده كله، بأقل من عشرين عاما كاملة! مع صيام الشعب العراقي عن كل ما يحتاج للحياة.

ما الذي استفاد منه الشعب الامريكي وهو يرى شعوب العالم قاطبة تنظر الى ادارته وهي تمارس سياسات الحروب الخارجية، وايقاف العمل باساليب الدبلوماسية ومنطق الحوار لصالح حوار المدفع والدولار والنفط.. ففي القرن الواحد والعشرين، الذي يعتبر قرن امريكا بامتياز، خسرت امريكا معظم حلفائها في العالم، وكان على رأس هذه الخسارة، ما جرى في حديقتها الخلفية، حيث معظم الاقطار في امريكا اللاتينية اختارت وبالطرق الديمقراطية حكوماتها ورؤساءها ممن هم على خط المعاداة، للسياسات الخارجية الامريكية، وفي اوروبا، سقطت قاعدتان حليفتان بمثابة عمود فقري، في اسبانيا وايطاليا، ويشهد حليف ثالث، هزة زلزالية تشير الى ضعضعة مماثلة للحزب الجمهوري الامريكي في حزب العمال البريطاني الذي يرأسه بلير. ومع هذا الانحدار فان حلفاء امريكا في العراق في حالة تناقص، مما يحتم شدة الغرق في المستنقع العراقي بجهود احادية امريكية. وامام هذه المقدمات (مقدمات الذهاب الى الانتخابات النصفية) وربما وراءها، جرت مياه غزيرة في نهر الميسيسبي العظيم، وهي تطالب بالانسحاب من العراق، كما تعالت اصوات شخصيات سياسية وعسكرية وفكرية مثل بريجنسكي وسكوكروفت وكيسنجر وكيري وفوكوياما وعشرات اخرين من اساطين الفكر السياسي.. اضافة الى جنرالات كبار سبق لهم الاسهام في التخطيط والاضطلاع بعمليات غزو العراق، وهم يطالبون باقالة رامسفيلد والخروج من العراق.

اما شعبية بوش في بلد ثقافة الاستطلاع فقد هبطت بحسب معاهد امريكية معتمدة الى نسبة 31 % بالمئة (وربما اليوم اقل) وهي ادنى نسبة لم يحظ بها اي رئيس امريكي سابق. وفي هذه المناسبة فان فضيحة نيكسون ليست سوى تفصيل صغير من مجمل فضائح بوش ففيما كان الاول يسترق السمع على مداولات حزب منافس، فان بوش يبيح التنصت على مكالمات وحركات ملايين الامريكيين دون ان يرف له جفن.

ومع هذه الوقائع، فان الفضائح السياسية والمالية تتطاير في اجواء ادارة بوش، ولا سبيل الى اخفائها او لفلفتها فصندوق تنمية العراق، او اعادة اعمار العراق، يشكو من اختفاء مليارات الدولارات تحت ظل شخصية بوش المفضلة، والذي هو الحاكم بول بريمر، ففي تقرير المفتش العام المعين من قبل الكونغرس الامريكي نفسه، ما يشير الى انفاق مليارات من اموال عراقية ـ في عهد بريمر ـ دون وثائق صرف قانونية تؤيدها، وان ثمة اساءة استعمال من نائب الرئيس تشيني لمنصبه، حين تمنح معظم العطاءات الكبرى لشركة مقربة كان يدير مجلس ادارتها (هاليبورتن) وهي ملاحظة من المفتش العام الامريكي لا غيره.

على الصعيد السياسي، ثمة فضائح بالجملة، فقد ارتضى جورج تينت رئيس «السي آي ايه» السابق ان يتحمل وحده مسؤولية الاخطاء (البريئة) في اتهام العراق بأسلحة الدمار الشامل، وربما الارتباط مع القاعدة (لتقريب) العراق من احداث ايلول (سبتمبر)، وفي اكذوبة يورانيوم النيجر، فقد عوقب السفير الامريكي في النيجر لرفضه الصاق التهمة بالعراق، بافشاء سر علاقة زوجته بجهاز الاستخبارات الامريكية وهو افشاء يعاقب عليه القانون، اما سادة المؤامرة، فقد خرجوا من مكاتب نائب الرئيس وربما الرئيس نفسه. ان الانتخابات النصفية تتقدم من الوجه السيىء لسياسات حزب بوش والاف اخطائه التكتيكية كما صرحت سيدة الدبلوماسية السمراء، في اكثر من مكان وزمان.

اما الجزء الثاني من خطابنا هذا، والمتعلق بالعملية السياسية العراقية، فيشكل السبب الاوفى، لاحتمال سقوط الحزب الجمهوري في الانتخابات النصفية، فمن هنا (21 ايار/ مايو 2006) الى تشرين الثاني (نوفمبر) هناك مسافة زمنية تقاس بنصف سنة، ولا تحتاج العملية السياسية العراقية، التي تمثلت في انتخابات وجمعية وحكومة لاكثر من الزمن المذكور، كي تفصح عن عمقها وعطالتها وفشلها، وايضا لاسباب غير رومانسية او طوباوية، اذ ان عقدة هذه الحكومة اضافة الى ممانعات شتى، هي الامن، والامن مرتبط بصعود المقاومة وتراجع الاحتلال ولما كان الاحتلال هو الحامي الوحيد، لحكومة ملفقة خلف جدران المنطقة الخضراء، فان فشلها سيكون من فشل الاحتلال، واليكم شواهد داخلية ذاتية تعزز احتمال هذا الفشل.

وبادىء ذي بدء، فانها حكومة مصالح فئوية وحزبية طائفية واثنية وبصفتها تلك فانها لا يمكن لها ان تمارس دور حكومة عموم الشعب في العراق، وهي حكومة موعودة بصدام مقاومة صاعدة مقدمتها في الموصل والرمادي ومؤخرتها في البصرة والزبير، وهي تستقبل عهدها، برفض من مكونات وشخصيات بمن فيهم ممن صعدوا الى البرلمان في العملية السياسية. وامام هذه الحكومة استحقاقات لا قبل لها بحل اشكالياتها، فاحزاب شمال العراق الكردية فازت بثلث المناصب السيادية وشيعة ايران من العراقيين، فازوا بستين بالمئة من هذه المناصب، وتركت وزارتا الداخلية والدفاع لاجل آخر، وهي وزارات خلافية، لم تنجح العملية السياسية لاكثر من خمسة اشهر، في ايجاد نماذج توفيقية لملء حقائبها، وفي الاستحقاقات ايضا هناك امام البرلمان، اصدار خمسة وخمسين قانونا لتطبيق بعض مواد الدستور، ترى ما هي المدة اللازمة لاستصدار هذه الرزمة من القوانين، والى اي مدى يمكن الاجماع عليها؟ كما على الحكومة الجديدة برأسها المالكي من حزب الدعوة، ان تشكل بموافقة البرلمان، لجنة لتعديل بعض مواد الدستور، وهو اتفاق قبل من شرائح سنية كشرط للدخول في الاستفتاء على الدستور في شهر تشرين الاول (اكتوبر) 2005.

وامام الحكومة مدة ثلاثة اشهر للتوافق على اعضاء اللجنة، وتتطلب عملية تعديل الدستور، سلسلة توافقات تبدأ من اللجنة مرورا بالحكومة وانتهاء بالبرلمان، وهو امر شائك من خلال قرائتنا لاستعصاء تشكيل الحكومة من قبل. ومع احتمال ازالة كل هذه العقبات فان على الحكومة ان تعرض نتائج التعديل على استفتاء شعبي خلال شهرين من اقرار التعديلات فان اعترض ثلثا الناخبين في ثلاث محافظات عراقية فانه الفيتو على التعديل، ومن اجل الدخول الى مدرسة الصراحة والاعتراف، فان خطوطا حمراء تسطع منذ اول الطريق، فمبدأ الفيدرالية وتبعية كركوك لـ«مملكة» كردستان، دونها وخرط القتاد، وهناك «الجمهورية» الاسلامية الجنوبية وعاصمتها السياسية في النجف، او عاصمتها التجارية في البصرة، وهي فدرلة حكيمية ـ ايرانية مستحدثة بقصد بريء، هو الوثوب على نفط العراق، وهناك المقطع الدستوري الذي يجعل من عرب العراق بصفتهم اقلية «مستضعفة» جزءا «لوحدهم» من الامة العربية وهناك خمسة عشر تحفظا على لغة المكر في مواد الدستور، وفي مجال الممارسة، هناك ما هو تاريخي، في استعصاء «المكونات» على الدولة منذ العصر العباسي وحتى يومنا هذا، اذ بدلا من النقلة في العراق الجديد والوليد.. باتجاه العصرنة السياسية والحداثة وعقلنة النظام، فان ما حصل فعلا، هو اغراق المجتمع في ردة قروسطوية تقليدية وطائفية وعرقية وعائلية.. الى ان خضع العراق لسلطات ملوك الطوائف والاثنيات والمهارات اللصوصية، بترجيعه الى القرون الظلامية وحالات الشعوب (الطوطمية) التي بنداء افتائي، تثب الى الانتخابات مثلما تثب الى الغزو.. فاذا كان نموذج الديمقراطية هو ما يباهي به الاكراد في برلمان الشمال، فاننا نتساءل عن سرمدية الزعامة الطالبانية والبرازانية وقبيلتيهما السياسية منذ نصف قرن وما يزيد فمسعود البارزاني لم يجر اية انتخابات في حزبه، منذ ان نال والده رتبة الجنرال من اسرائيل، وهي واقعة تاريخية لا تشهيرية بموجب وثائق اسرائيلية مزودة بصور فوتوغرافية. اما اذا كان المستقبل في العراق، هو ما تجود به قريحة الرئيس بوش الخيالية، فان العراق صار من الدول الديمقراطية العظمى، منذ ان القى خطابه المثير فوق الحاملة لنكولن، حيث اعلن انتهاء العمليات القتالية في العراق منذ ايار (مايو) 2003. فالسيد بوش ظل يرى في كل خطوة تلفيقية على طريق العملية السياسية العراقية، وكأنها صرح في امل الانتصار، من رد السيادة الموهوم، الى الانتخابات الى الجمعية فالحكومة والدستور.. وكلها خطوات سقطت من برنامج احتلالي واحد، رغم ايلاجها في تلاوين من التفاهمات والنزاعات والمناسبات والاختلاطات في رؤى واهداف مختلفة، ولا شيء في نهاية التحليل، الا الاجتماع في مرجعيتين، مرجعية الساكسون في واشنطن، او مرجعية فارس في طهران، اما السنة الذين ارادوا ان يحصدوا ثمرا فحصدوا الهشيم، فانهم كبندول الساعة بين منسحب ومتردد ونادم. على ان من السنة ما لا يحسب اصلا على اجندة مناهضة الاحتلال، فالحزب الاسلامي انخرط في التوجيهات الاحتلالية منذ اليوم الاول لاحتلال بغداد، اذ ما من خطوة على طريق العملية السياسية الا وشارك فيها، رغم ان المارينز وضعوا احذيتهم على رقبة الامين العام للحزب، بواقع اعترافه هو وليس غيره! علما بأن المسألة برمتها ليست سنة وشيعة.

تلك هي نبذة على طريق خشبة الخلاص، في حكومة (الوحدة الوطنية) المالكية، فأصحاب بوش في بلاد الرافدين، كما اصحاب الملالي في ولاية الفقيه، ما زالوا يستمرئون الكذب في اعلاناتهم السياسية، اذ رغم انها حكومة وحدة، فانهم لا يجدون الشعب الموحد، الذي يؤمن حمايتهم خارج المنطقة الخضراء حتى رغم ان منتخبيهم جاوزوا ثمانية ملايين من البشر، وهي حكومة وحدة مع اهداف امريكية او اطماع ايرانية، فيما الوحدة تكون مع الاحزاب الوطنية للشعب، وليس مع اهداف خارجها، وهي حكومة وطنية في ظل فقدان السيادة تحت الاحتلال، فاذا كان هذا هو مصطلح الوحدة الوطنية الحديث فان على الشعوب ان ترفع الراية البيضاء او ان تسلم بالحداثة تحت طراز جديد من الهيمنة الامريكية، ويقع على عاتق حكومات الدمى، ان تبتدع قاموسا انقلابيا تلغي بموجبه، حاضرنا وماضينا في لغتنا وافكارنا ومحمولنا من التراث والمصطلحات.. ولا نعتقد ان الوقت سيسعفها لتحقيق هذا الانجاز، ذلك ان المقاومة الاسرع في كل شيء هي صاحبة حق المصطلح في عراق حر ووليد.

* كاتب من فلسطين يقيم في سورية

روسيا والبحث عن دور عالمي جديد

محمد بوبوش*

■ منذ وصول الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى السلطة في الكريملين في 28 شباط (فبراير) 2000، والولايات المتحدة الأمريكية تنظر بعين الشك إلى روسيا الاتحادية، خاصة وأن الرئيس الروسي الجديد لديه طموحات حول استعادة مكانة روسيا الدولية والإقليمية، ورفضه الواضح لانفراد الولايات المتحدة بقيادة النظام العالمي الجديد، ومن ثم، اتجهت السياسة الخارجية الأمريكية إلى محاولة إقناع بوتين بأنه لا يمكن أن تستعيد روسيا مكانة الاتحاد السوفييتي السابق لاعتبارات عديدة أهمها الضعف الاقتصادي الروسي، إضافة إلى المخاطر التي تهدد روسيا الاتحادية ذاتها بالتفكك. وقد استخدمت في ذلك عدة أساليب منها تشجيع روسيا للاتجاه نحو أوروبا، وضم روسيا إلى قمة الدول السبع الصناعية الكبرى، وتشكيل لجنة خاصة بالأمن في نطاق منظمة الأمن والتعاون الأوروبي ((OSCE، تكون روسيا عضوا فيها.

من ناحية أخرى، اتجهت الولايات المتحدة إلى توسيع حلف شمال الأطلسي لاحتواء روسيا من جهة أوروبا وكذلك اتباع سياسة نشطة في دول آسيا الوسطى من أجل الحد من النفوذ الروسي في هذه المنطقة التي ازدادت أهميتها بعد الاكتشافات البترولية. كما أعاد الرئيس جورج وولكر بوش مبادرة درع الصواريخ إلى الوجود مرة أخرى، ورأى أنه لا بد من إلغاء المعاهدات الموقعة سابقا مع الاتحاد السوفييتي لأن الظروف الدولية قد تغيرت، واستبدالها بمنظومات إقليمية تحجم روسيا وتعمل على تقزيم خطرها ووضعها في دائرة صغرى لا تستطيع من خلالها الخروج من عزلتها الحالية إلى فضاء سياسي رحب.

وتسعى روسيا في عهد بوتين إلى الاعتراف بها كقوة عظمى، واستعادة بعض الجوانب التي كان يتمتع بها الاتحاد السوفييتي في الماضي، مثل قوة عظمى ووجود سلطة مركزية ووجود مجتمع مستقر، ويقوم بوتين بذلك في بعض الأحيان على حساب الدول المجاورة أو الحقوق المدنية للمواطنين الروس، ولا زالت روسيا تعتبر أن مبيعات الأسلحة والتكنولوجيا كمصدر هام للأموال، وتستخدم تلك المبيعات كوسيلة لتحسين صلاتها بشركائها الإقليميين، مثل الصين والهند وإيران.

وتنظر روسيا إلى تلك العلاقات باعتبارها القوة للحد من النفوذ الأمريكي على المستوى العالمي، وتعمل روسيا على استعادة مكانتها باعتبارها القوة المطلقة في المنطقة، وقد مارس بوتين ضغوطا على الدول المجاورة له لدفع الديون الخاصة بالطاقة.

كما أنه زاد من التمويل المخصص للمجال العسكري لعلاج المشكلات المتراكمة في القوات المسلحة في العهد السابق، وبالرغم من صعوبة موقف الجيش الروسي في الشيشان، إلا أنه يرى من الضروري حسم الصراع الدائر في الشيشان لأنه يشعر بأن هذه المسألة تمس بمكانته الشخصية.

وبالرغم من الحنين الكبير الذي يكنه «بوتين» للاتحاد السوفييتي البائد، إلا أنه يدرك تماما أن روسيا يجب عليها السماح بوجود الأسواق المفتوحة والاندماج داخل الاقتصاد العالمي، وإنها في حاجة إلى الاستثمار الأجنبي الذي يعد عاملا أساسيا لتحقيق النمو الاقتصادي.

وقد تزايدت في الآونة الأخيرة انتقادات حادة من «بوتين» لسياسة واشنطن في العالم والهيمنة الأمريكية على شؤون المجتمع الدولي. ففي خطابه حول حالة الإتحاد الروسي بتاريخ 10 ايار (مايو) 2006، وجه «بوتين» انتقادات شديدة اللهجة إلى السياسة الأمريكية في العالم، وإن لم يسمها بالاسم، فقد قال بوتين «بعضهم ما زال يعيش في حقبة الحرب الباردة، ويسعى إلى تعزيز نفوذه في المناطق التي يعتقد أننا ضعفاء فيها، وعلى روسيا أن تستعد لذلك».

لقد ورث بوتين عن سلفه «بوريس يلتسن» سياسة خارجية غير مستقلة، حيث تطلعت روسيا في تلك المرحلة إلى الاندماج في الغرب والتقيد بسياساته بأي ثمن مما جعل روسيا منقادة للولايات المتحدة وتنتهج سياسة اللين والمهادنة تجاهها. وفي هذه المرحلة قبلت روسيا بدور الشريك المتواضع للغرب وتبنت سياسة خارجية جديدة تقوم على اعتماد التقارب بدل المواجهة مع الولايات المتحدة. وهذا هو الخيار الذي دأب على تحقيقه وزير الخارجية الروسي آنذاك «أندريه كوزيريف» لدرجة أن بعض منتقديه اتهموه بأنه «موظف في خدمة وزارة الخارجية الأمريكية» أكثر مما هو وزير الخارجية الروسية. ومنذ أوائل عام 1996 ومع تعيين يفغيني بريماكوف وزيرا للخارجية الروسية، حاولت روسيا القيام بدور عالمي مستقل بدل التبعية المطلقة للغرب، ودون التفريط بمبدأ الشراكة مع أعداء الأمس أي الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين.

أما بالنسبة لفلاديمير بوتين، فقد بدا منذ الوهلة الأولى وكأن الرجل يمتلك حسا وطنيا مغايرا، ورغم أن العديد من مواقف السياسة الخارجية للاتحاد الروسي اتسمت بطابع استقلالي، أخذت طابعا إعلاميا ودعائيا، أكثر منها حزما وفاعلية،إلا أن التطورات كشفت في الوقت نفسه عن اتجاه متزايد نحو المزيد من الاستقلال والقدرة على الفعل، بل وقيام روسيا صراحة بتحدي إرادة الولايات المتحدة بشأن إنهاء بعض الأزمات التي اندلعت في أوروبا والشرق الأوسط. والملاحظ أيضا هو انضمام روسيا إلى معسكر الدول التي تنتقد سياسة الغطرسة والقوة التي تفرضها الولايات المتحدة على العالم من أجل تحقيق مصالحها الخاصة تحت شعار إقامة نظام عالمي جديد، أو بدعوى أن قراراتها تمثل إرادة المجتمع الدولي.

إن الموقف الروسي إزاء العديد من القضايا والأزمات الدولية، مثل الاحتلال الأمريكي للعراق، ووصول حركة حماس إلى السلطة، والملف النووي الإيراني، والعلاقات السورية ـ اللبنانية، تظهر مدى التحول الكبير في الدبلوماسية الشرق الاوسطية لروسيا الاتحادية.

ففيما يخص الأزمة العراقية، الملاحظ أن موقف روسيا، كان جنبا إلى جنب مع الموقف الصيني والروسي، سببا في حجب الشرعية الدولية عن الغزو الأمريكي للعراق، واعترض بوتين على إجراء الانتخابات العراقية في ظل وجود الاحتلال الأمريكي للعراق.

أما عن الشأن الفلسطيني، فقد تميز الموقف الروسي بالجرأة، حيث تم استقبال وفد عن حكومة حماس المنتخبة ديمقراطيا في 26 شباط (فبراير) 2006 ، بقيادة خالد مشعل، حيث تم تبرير هذا الموقف بضرورة إقناع الحركة بضرورة نهج سلوك التفاوض مع إسرائيل، بل إن روسيا قامت بتقديم مساعدات مالية وعاجلة للسلطة الفلسطينية بسبب سياسة الحصار والتجويع المفروضة على الشعب الفلسطيني من طرف الولايات المتحدة وأوربا، عقابا له على اختياره الديمقراطي.

أما بالنسبة للملف النووي الإيراني، فالملاحظ أن هناك تقاربا روسيا ـ إيرانيا حول هذا الملف منذ البداية، ولا زالت الدبلوماسية الروسية تحاول حل الملف بالطرق الدبلوماسية، ومحاولة إقناع الطرف الإيراني بمبادرتها القاضية بقيام إيران بتخصيب اليورانيوم على الأراضي الروسية، واستمرار التعاون بين الطرفين في مجال الطاقة النووية، عبر إنشاء محطات جديدة للطاقة النووية، بل إن روسيا ومعها الصين ترفضان فرض أي عقوبات على إيران في إطار الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، أو اللجوء إلى القوة العسكرية لحل هذا الملف، إدراكا من روسيا لعواقب هذا الإجراء والذي قد يجر المنطقة إلى ما لا تحمد عقباه، وما العراق إلا خير نموذج على ذلك.

وفيما يخص العلاقات السورية ـ اللبنانية، فروسيا التي لها علاقات متميزة مع دمشق، تعارض أي تدخل دولي في هذا الملف، وإن كانت مع ضرورة التحقيق الدولي في اغتيال الحريري، ذلك أن روسيا إلى جانب الصين امتنعتا عن التصويت على القرار 1680 الصادر عن مجلس الأمن والذي يدعو سورية إلى إقامة علاقات دبلوماسية مع لبنان وترسيم الحدود بين البلدين. ولا شك أن هذا القرار يعد سابقة خطيرة في العلاقات الدولية وبدعة في القانون الدولي، ذلك أنه ينتهك سيادة سورية، فمن المعلوم أن إقامة العلاقات الدبلوماسية وترسيم الحدود هو شأن داخلي للدول ونابع من إرادتها ويمكن ارجاعه إلى ما يسمى بـ«المجال المحفوظ للدول» أو «اختصاص الاختصاص». غير أن الأمم المتحدة خرجت عن الشرعية الدولية وتجاهلت صراحة ما نص عليه ميثاقها في المادة 2 الفقرة 7 والتي تنص على أنه: «ليس في هذا الميثاق ما يسوغ للأمم المتحدة أن تتدخل في الشؤون التي تكون من صميم السلطان الداخلي لدولة ما، وليس فيه ما يقتضي الأعضاء بأن يعرضوا مثل هذه المسائل لأن تحل بحكم الميثاق، على أن هذا المبدأ لا يخل بتطبيق تدابير القمع الواردة في الفصل السابع».

وبالعودة إلى خطاب الرئيس الروسي، يلاحظ أنه تضمن ما يمكن اعتباره خطة لاستعادة روسيا مكانة الدولة العظمى، وذلك عند حديثه عن مقومات القوة الروسية، مشيرا إلى الأخطار الراهنة التي تهدد بلاده وعقبات تحديث جيشها وأمنها القومي، بل إنه استخدم بعض المصطلحات التي كنا نعتقد أنها اختفت من القاموس السياسي للكريملن منذ اختفاء الاتحاد السوفييتي عن الساحة الدولية، مثل توازن القوى الإستراتيجي، وضرورة وضع الجيش الروسي على أهبة الاستعداد كي يكون جاهزا في أقرب وقت ممكن لمواجهة آنية لنزاع إقليمي أو دولي، وتعهد بأن يشمل التسليح أنظمة نووية وتقليدية متطورة جدا مستقبلا.

وفي رد استباقي على اتهامه المحتمل بأنه عازم على استئناف سباق التسلح العالمي، أشار «بوتين» إلى أنه من السابق لأوانه الحديث عن نهاية سباق التسلح مستشهدا بتضخم الميزانية العسكرية الأمريكية التي تتجاوز نظيرتها الروسية بـ25 ضعفا. كما أكد بوتين على تعزيز دور بلاده في مجال الطاقة، وأوضح أن أخطاء الاتحاد السوفييتي لن تتكرر الذي وجه قسما كبيرا من موارده نحو التسلح متجاهلا الأوضاع المعيشية للمواطنين.

وقد أيدت النخب الروسية بمختلف توجهاتها السياسية خطاب «بوتين» معتبرة الخطاب الرئاسي يؤسس لتوجه جديد للسياسة الخارجية الروسية خلال الأعوام المقبلة حتى سنة 2010. وترجع أهمية هذه النقطة إلى ما تؤكده من أن رؤية «بوتين» تنبع من رؤية أوسع للنخبة الروسية التي توجد مؤثرات قوية على شعور يغمرها بالمرارة من جراء التراجع الهائل لمكانة وطنها في أعقاب انهيار الاتحاد السوفييتي.

يعتقد الكثير من المحللين السياسيين أنه من الصعب على الدب الروسي أن يستعيد صولته الشرق الاوسطية، على الأقل في المرحلة الراهنة، فروسيا تمسك بالعصا من الوسط، فهي من جهة تحاول إرضاء حلفائها في آسيا والشرق الأوسط، ومن جهة أخرى فإن مصالحها الاقتصادية مرتبطة أكثر بالولايات المتحدة وأوروبا، كما أن مواقفها من بعض القضايا الدولية تظل ذات طابع دعائي وإعلامي.

إن ما ينقص روسيا هو استقرار سياسي وقيادة وطنية مقبولة ومسؤولة وذات رؤية إستراتيجية واضحة وقادرة على تحقيق إجماع وطني يوظف الموارد الروسية في مشروع جديد لإعادة المكانة الدولية لروسيا الاتحادية.

* باحث في القانون الدولي والعلاقات الدولية ـ كلية الحقوق ـ أكدال ـ جامعة محمد الخامس ـ الرباط.

تكامل دول الخليج هو في استجابتها الفاعلة للتحديات

عوني فرسخ*

■ قبل ما يزيد قليلا عن الشهر كان للدكتور علي فخرو لقاء على فضائية الجزيرة في برنامج «بلا حدود» تميز بدرجة عالية من الموضوعية والجرأة في مناقشة واقع ومستقبل منطقة الخليج العربي. وقد أبدى الوزير البحريني السابق والشخصية العربية المرموقة تخوفه من أن تضيّع المنطقة فرصة الاستفادة الحقيقية من الطفرة الراهنة في أسعار النفط، تماما كما لم توظف عوائد النفط في مرحلة الطفرة النفطية السابقة في تنمية مستدامة، خاصة في مشروعات انتاجية تخفف من الاعتماد على النفط كمصدر اساسي للدخل الوطني والأخذ بالحسبان كون النفط ثروة ناضبة. وفي 23 ايار (مايو) الماضي كتب استاذ العلوم السياسية في جامعة الامارات د. عبدالخالق عبدالله في «الخليج» الغراء مقالة بعنوان «الحالة النفسية للمواطن في الامارات» عبر فيها عن قلق المواطن الاماراتي على الحاضر والمستقبل بسبب الخلل السكاني القائم. وكان مما قاله: «تدفق المشاريع العمرانية العملاقة على امتداد الامارات يجعل المواطن سعيدا كل السعادة وخائفا كل الخوف، وهي حالة نفسية تستحق الدراسة من قبل علماء النفس».

وعلى مدى الشهور القليلة الماضية تعددت الكتابات واللقاءات التلفزيونية المعبرة عن القلق الشديد تحسبا من تداعيات التدمير المبرمج لقدرات العراق كقوة عربية فاعلة، والدفع باتجاه تقسيمه طائفيا، والسيطرة الأمريكية على مقدراته والتواجد الصهيوني في كردستان العراق، وانعكاسات ذلك شديدة السلبية على جواره العربي. وذلك في مقابل ما هو واضح من تنامي القدرات والطموحات القومية الايرانية، وتعاظم التدخل الايراني في الشأن العراقي، وتأثيرات ذلك على امن الخليج واستقراره. وكثيرون هم الذين تحدثوا وما يزالون عن التأثيرات المحتملة لبرنامج ايران النووي، والمخاطر التي تهدد المنطقة فيما لو نفذت اسرائيل والولايات المتحدة تهديداتهما لايران.

ولقد بات جليا ان الهند في ضوء تنامي قدراتها الاقتصادية والمعرفية مرشحة لأن تكون قوة عظمى خلال العقد القادم، وأن حاجتها للنفط في تزايد مستمر. فيما توضح قراءة الخريطة السياسية – الاجتماعية الهندية تعاظم فعالية ودور اليمين القومي الهندوسي في صناعة القرارات الهندية على مختلف الصعد. وبين فلاسفة هذا اليمين من يدعي بأن المجال الحيوي للهند يمتد ما بين قناة السويس واندونيسيا. ولما كانت نسبة الهنود هي الأعلى بين القوى الاجنبية العاملة في دول الخليج العربي، فإن ذلك يضاعف ضرورة التنبه لانعكاسات القدرات الهندية وتعاظم حاجة الهند للنفط على أمن واستقرار منطقة الخليج العربي.

وكثيرة هي المقالات واللقاءات التلفزيونية والندوات الفكرية التي يستدل منها على أن قطاعا غير يسير من النخب الثقافية والشخصيات الاجتماعية في دول مجلس التعاون يتزايد لديها اليقين بان المجتمع، كما المواطن، في دول المجلس يواجه تحديات مصيرية على محاور : الانتماء الوطني والقومي العربي، واللغة والثقافة والقيم وانماط السلوك العربية والاسلامية، والمنعة تجاه المطامع الاقليمية والدولية، في مرحلة من ابرز معالمها تزايد الاهمية النسبية لموقع الخليج العربي الاستراتيجي وامكانيات دوله النفطية وقدراتها الاستهلاكية. وان يتزامن ذلك مع الاحتفال بالذكرى الخامسة والعشرين لقيام مجلس التعاون ففي ذلك مؤشر على أن انجازات المجلس خلال ربع القرن الماضي على أهميتها لم تحقق ما كان مأمولا عند تأسيسه من تنمية شاملة ومنعة أمنية.

ومن ابرز معالم المسيرة العربية خلال نصف القرن الأخير شدة تأثر واقع كل قطر عربي بمجريات الامور سلبا او ايجابا في بقية انحاء النظام الاقليمي العربي الذي تجسده جامعة الدول العربية. فيما كان لمنطقة الخليج دور ملحوظ في المسيرة العربية على نحو غير مسبوق في التاريخ العربي الممتد، بل ويمكن القول إن هذا الدور شهد نموا طرديا على مدى سنوات النصف الثاني من القرن العشرين. وعليه فإن كل من هو مهتم بالحاضر والمستقبل العربي يشارك كلا من د. علي فخرو، ود. عبدالخالق عبدالله وغيرهما القلق على حاضر ومستقبل منطقة الخليج العربي، وانعكاسات ذلك على المدى القومي. وهو بالتالي معني بالاجابة عن سؤال ما العمل لتوفير متطلبات امن وتطور دول الخليج ومواكبتها للعصر.

ويعلمنا التاريخ الانساني ان ليس غير التوظيف الأمثل للامكانات المادية المتوفرة والقدرات البشرية المتاحة سبيل الشعوب والأمم لمواجهة التحديات في كل زمان ومكان. كما يعلمنا ان الاحتماء بالقوى الخارجية سبيل اهدار حرية الارادة، فضلا عن انه عالي التكلفة سياسيا واقتصاديا. كما انه من ابرز حقائق العصر صيرورة التجمعات الاقليمية الكبرى سبيل مواكبة التطورات المتسارعة في العلم والمعرفة، وآلية امتلاك استقلالية الارادة في زمن العولمة، وما هو ملحوظ من تآكل الاهمية النسبية للسيادة الوطنية لدول نصف الكرة الجنوبي في نظر صناع القرار السياسي والاقتصادي في نصفها الشمالي.

ودول الخليج، من نعم الله على شعوبها، أنه توفرت لديها كل متطلبات التكامل الاقليمي، إذ ينعدم التمايز فيما بينها على محاور السلالة التاريخية واللغة والثقافة والقيم وانماط السلوك والدين والمذهب. فضلا عن أنه تتماثل لديها البنى الاجتماعية والاقتصادية، وتتقارب فيما بينها مستويات التطور. وهي تقع بالتالي في موقع متميز للغاية في مجال التكامل الاقليمي قياسا باي منطقة اخرى في عالمنا المعاصر حققت تكاملا اقليميا يشار اليه بالبنان كالاتحاد الاوروبي على سبيل المثال لا الحصر.

وبين يدي انظمة وشعوب دول مجلس التعاون اكثر من مثال ناجح للتكامل، في المقدمة منها تجربة الامارات العربية المتحدة. كما انه بالمستطاع اثراء التجربة الاماراتية بالاستفادة من انجازات كل من تجربة الاتحاد الاوروبي والاتحاد الماليزي للتقدم الحثيث والسريع باتجاه اقامة «اتحاد دول الخليج العربي»، الذي بتكامله مع عمقه العربي تتوفر لديه متطلبات التنمية المستدامة التي ينشدها د. علي فخرو، والطمأنينة النفسية التي يفتقدها د. عبد الخالق عبدالله، ومواكبة العصر التي يتطلع اليها القطاع الاعظم من مثقفي منطقة الخليج العربي وأبرز شخصياتها الاجتماعية.

* كاتب فلسطيني يقيم في الامارات

نكبة عائلة من نكبة وطن

غسان المفلح*

■ في نهاية ثمانينات القرن العشرين كان هنالك خمسة اخوة من نفس العائلة وبنفس التهمة ـ حزب العمل الشيوعي في سورية ـ وهم منيف ملحم ضابط مسرح وياسر مهندس زراعي ومنذر معهد متوسط فني ونبيل مهندس مدني والخامس وهو برتبة مقدم مهندس في الجيش السوري عندما اعتقل.. وبعدها بفترة جاؤوا ليأخذوا السادس لفترة قصيرة! فقال والدهم للمخابرات السورية: وهو يرمي عكازه السبعيني خذوا هذه أيضا معكم إلى السجن! وبقي الخمسة في السجن حتى خرجوا بعد سنوات الواحد تلو الآخر.. وأقلهم هو من نام في السجن ست سنوات ومنيف أكثر من سبعة عشر عاما وياسر أكثر من أربعة عشر عاما ومنذر ونبيل ثماني سنوات ونصف لكل واحد منهما.. ليس هنا المأساة أبدا بل المأساة والتي لا تخجل هذه السلطة منها: أن هؤلاء الخمسة يجب أن يصرف عليهم أهلهم والدهم ووالدتهم وزوجاتهم وأخوتهم البقية على مدار كل هذه السنين ولو جمعناها لخرجنا أن العائلة قد اعتقلت لأكثر من خمس وخمسين عاما..من أين سيجلب الأهل كل تكاليف السجن من ملابس وتبغ وأكل وخلافه لخمسة رجال(!) إضافة إلى أن الأهل سيأتون من حمص ـ قرية أبو حقفة إذا لم تخني ذاكرتي الضعيفة ـ إلى دمشق ثم إلى صيدنايا لكم أن تتخيلوا هذا المشوار الشهري لتقف الأم أمام أبنائها الخمسة وهم خلف شبك معدني كل هذه السنين ـ لأن أكل السجن الله لا يفرجيكم سيئ وقليل جدا لأنه مسروق سلفا ـ رغم أن الشباب ـ أكيلة لأنهم ذو بنى جسمانية ما شاء الله كما يقول الناس في مثل هذه الحالة وخصوصا ياسر الذي كان يمارس رياضة يومية في السجن لأكثر من أربع ساعات وهذه تحتاج إلى غذاء وأي غذاء! رغم أنني خرجت قبله من السجن بسنة ونصف تقريبا دون أن تكون بيننا علاقة ودية بل لم يودعني وانا خارج من باب الجناح.. ولم نكن نتكلم مع بعضنا لأنه ـ حيوان.. كما كن